# الإعجاز القرآني عند الدكتور محمود البستاني

د.وئام كاظم سميسم

كلية الآداب/ جامعة الكوفة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الإسلام أبو القاسم محمد شفيع الأمة وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الدكتور البستاني واحد من أعلام الفكر والأدب العربي المعاصر ،ترك ثروة معرفية لا يستهان بها في مجال الشعر والنقد والفكر،فقد مثل بكتاباته العقل المسلم المعاصر المنفتح أمام الظلام والانحراف الفكري ،ففتح أبواب كانت موصدة وأنار مسالك كانت مظلمة، والكتابة عن الدكتور البستاني تتطلب جهدا وتتبعا لتنوع نتاجه المعرفي ومن بين ذلك قضية الإعجاز القرآني ، فكانت له رؤية خلاقة وإشارة مميزة في هذه القضية تستحق الوقوف عندها ودراستها .

ومن الحقائق التي لاشك فيها أن معجزة النبي الأكرم (ص) وسند نبوته هو القرآن الكريم ولهذا وقف العلماء قديما وحديثا على بعض مناحي أسراره ووجوه إعجازه،واليوم يكتشف الدكتورالبستاني منحى آخر يتجلى فيه مظهر من مظاهر الإعجاز نتتبعه من خلال المباحث الآتية:

## المبحث الأول: المطلب الأول: مفهوم الإعجاز لغة واصطلاحا.

وردت لفظة "إعجاز"عند اللغويين تحت مادة "عجز" وهي الجذر الثلاثي لكلمة "إعجاز" ومنها تعددت مدلولات الكلمة نحو :إعجاز ،وأعجاز ،ومعجزة،وعاجز ،وعجوز ،ونحو ذلك في معاجم اللغة.

فابن منظور قد أطال الوقوف عند معنى كلمة ال "عجز" ، فجاءت في خمسة وجوه عنده وهي : العجز: نقيض الحزم ، والعجز:الضعف ، والتعجيز: التثبيط ، والإعجاز – وهو مدار البحث– هو الفوت والسبق، " يقال:أعجزني فلان ، أي : سبقني وفاتني وجعلني عاجزا عن طلبه وإدراكه"،وأعجاز الأمور :أواخرها.(١)

وقد ذهب ابن فارس في معجمه إلى القول :"العين والجيم والزاء،أصلان صحيحان:يدل احدهما على الضعف،والآخر على مؤخر الشيء،فالأول:عجز يعجز عجزا ،فهو عاجز:اي ضعيف ،والثاني :العجز:مؤخر الشيء،والجمع أعجاز".(٢)

ويرى الراغب الأصفهاني،أن "العجز:أصله التأخر عن الشيء ،وحصول الشيء عند عجز الأمر ،أي مؤخره،وصار في التعارف :اسما للقصور عن فعل الشيء ،وهو ضد القدرة ومحصلة القول ،إن العجز:الضعف والقدرة"(٣).

وفي ضوء ما تقدم نجد أن أبعاد هذه اللفظة قائمة على معنيين هما القوة والقدرة ،والثاني الضعف والعجز. ويرى الدكتور صلاح الخالدي أن لهذه اللفظة معنيين :الأول محسوس أو مادي والآخر معنوي

متولد من الأول،فمؤخر الشيء هو المعنى المادي ومنه أعجاز النخل وأعجاز الإبل وعجز البيت ،والمرء وهذه الأمور هي أقوى جزء فيها،أما المعنى المعنوي المتمثل في الضعف عن فعل الشيء وعدم القدرة عليه ومنه العجز والعاجز والتعجيز[٤].

وخلاصة القول في لفظة "عجز" أن عجز : يعجز : فهو عاجز وهذا للضعيف المهزوم ومصدر الفعل العجز وهو ثلاثي،أما أعجز: يعجز: فهو معجز،وهذا المنتصر القوي الذي غلب خصمه وأعجزه وهو رباعي مصدر الفعل الإعجاز.

أما الإعجاز اصطلاحا: فقد أدلى العلماء بمختلف مجالاتهم المعرفية بدلوهم حول مفهوم الإعجاز، وهي تعريفات تكاد تكون متشابهة نوعا ما، فقد ذهب علماء الأدب ومنهم ابن خلدون إلى أن المعجزات هي" أفعال يعجز البشر عن مثلها ، فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد ، وإنما تقع في غير محل قدرتهم"[٥].

وفي ذات الشأن يقول السيوطي في الإتقان :"المعجزة في لسان الشرع ،أمر خارق للعادة ،ومقرون بالتحدي سالم عن المعارضة".[٦] أما مفهوم الإعجاز عند الجرجاني:"الإعجاز في الكلام هو :أن يؤدي المعنى بطريق هو ابلغ من جميع ما عداه من الطرق".[٧]

ويرى مصطفى صادق الرافعي أن الإعجاز شيئان:" الأول:ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ،ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته . والثاني: ثم استثمار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه .فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ،ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت".[٨] ويعرف الدكتور الصغير الإعجاز "عبارة عن خرق نواميس الكون وتغيير في قوانين الطبيعة ، وقلب للنظام الثابت في الموازيين إلى نظام متحول جديد".[٩]

ولابد من تتبع المفهوم عند علماء الكلام والفقهاء ، فيطالعنا رأي القاضي عبد الجبار المعتزلي فيقول:" معنى قولنا في القرآن انه معجز:أن يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله، في القدر الذي اختص به".[١٠]

أما المحقق الطوسي ، فيرى :"هو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد ، مع خرق العادة ومطابقة الدعوى".[١١]ويقترب من ذلك القول الالوسي:"بأنه الأمر الخارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند التحدي"[١٢] ونجد الأمر نفسه عند البلاغي حيث يقول:" المعجز هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقا للعادة وخارجا عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ،ليكون بذلك دليلا على صدق النبي".[١٣]وقد فصل القرطبي (٦٧١هج) المفهوم أكثر وجعل له شروط لابد أن يتم به ،فيقول:"سميت معجزة لان البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها ،وشرائطها خمسة،فان اختل منها شرط لا تكون معجزة.. وشروطها،أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه ،وان تخرق العادة ،وان يستشهد بها

مدعي الرسالة على الله عز وجل ،وان تقع على وفق دعوى المتحدي بها ، وان لا يأتي احد بمثلها على وجه المعارضة.."[١٤] أما السيد الخوئي فلم يختلف كثيرا عن غيره في تثبيت المصطلح فيقول:"أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهدا على صدق دعواه".[١٥]

ومن ضرورات البحث هو التعرف على مفهوم"الإعجاز" عند الفلاسفة لكي تتم الفائدة ويتضح المغزى ، فالإعجاز من الناحية الفلسفية يعني" تحقق الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل".[١٦]بمعنى إن الأمر المعجز ليس خرقا لقانون العقل مثل وجود المعلول من دون علة أو انقسام الثلاثة إلى عددين صحيحين التي يحكم العقل باستحالتها ، حيث ذهب الشيخ جعفر سبحاني أن نقل عرش بلقيس من بلاد اليمن إلى بلاد الشام في طرفة عين بلا توسط شيء من الأدوات المادية ما هو إلا سببا غيبيا كان الناقل مطلع عليه[١٧] " من أوتي علما من الكتاب" فعمله هذا خارق للعادة غير خارق للعقل. والفرق هنا بين مفهوم "الإعجاز"عند الفلاسفة والكلاميين فالأول لا يفترض وجود دعوى ومدع للسفارة الإلهية تكون المعجزة شاهدا على صدق دعواه كما عند المتكلمين ، فالفلاسفة تكتفي بان يكون الأمر معجزا كونه خارقا للعادة لا ينسجم مع القوانين والسنن التي تحكم عالم الطبيعة والمادة . والمعنى لديهم " لا يعني خرق قانون العلية العام،بل كل ما في الأمر أن المعجز قد صدر من علة لكنها ليست هي العلة المتعارف عند الناس".[١٨]

## المطلب الثاني: مفهوم الإعجاز في التراث الإسلامي:

لم تذكر كلمة "إعجاز" ولا كلمة "معجزة" في القرآن الكريم ،إلا أن مادة "عجز" وردت في ست وعشرين مرة ، كما في قوله تعالى : "أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب". (المائدة:٣١) وهنا المعنى جاء ضد القدرة ، وجاء بمعنى جعلته عاجزا في قوله تعالى : "واعلموا أنكم غير معجزي الله" (التوبة :٢) ، وقوله تعالى : "والذين سعوا في آياتنا معاجزين " .(الحج:٥١).

وقد ورد في القرآن الكريم كلمة "آية" دالة على معنى المعجزة في قوله تعالى:"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"(فصلت:٥٣) ، إضافة إلى الآيات التي تحمل مدلول التحدي والإعجاز، كما في قوله تعالى :" وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله أن كنتم صادقين " (البقرة:٢٣) وقوله تعالى:" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"(الاسراء:٨٨).

أما في التراث النبوي فلم ترد كلمة الإعجاز أو المعجزة،ولكن ورد استخدام اللفظة بمعنى القدرة والقوة،كما في قوله (ص):" أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا:وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال: يقرأ"قل هو

الله أحد" فأنها تعدل ثلث القرآن "[١٩]،وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " أيعجز أحدكم أن يكسب في اليوم ألف حسنة ؟ قالوا: ومن يطيق ذلك؟ قال : يسبح، فيكتب له ألف حسنة ، وتمحى عنه ألف سيئة"[٢٠]. والمعنى هنا إنكاره على المسلمين تعاجزهم وضعفهم على تأدية الأعمال وهم قادرون عليها.

إلا أن أول من نبه على حقيقة الإعجاز هو الإمام علي بن موسى الرضا (ع) فيما رواه ابن السكيت(ت:٢٤٤) لما سأل الإمام الرضا(ع) "لماذا بعث الله موسى بن عمران (ع) بالعصا ويده البيضاء ،وآلة لسحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب وبعث محمدا (ص)بالكلام والخطب؟ فقال الإمام الرضا (ع) : إن الله لما بعث موسى (ع) كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله ، وما أبطل به سحرهم ، وأثبت به الحجة عليهم ، وان الله بعث عيسى (ع) في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله ، وبما أحيا به الموتى ،وأبرأ الأكمه و الأبرص بإذن الله ،واثبت به الحجة عليهم .وأن الله بعث محمدا (ص) في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام – وأظنه قال: الشعر – فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم،وأثبت به الحجة عليهم ،قال:فقال ابن السكيت : تالله ما رأيت مثلك قط."[٢١]

## المبحث الثاني:الإعجاز القرآني

إن قضية الإعجاز القرآني لها من الأهمية ما جعل جل علماء الأمة الإسلامية يتوقفون عندها ويلاحقونها بشغف ، وذلك لما له من علاقة بنبوة الرسول (ص) وصدق دعوته وتوثيق رسالته ودعم حجته، فنزل بالهيأة المعجزة التي لا يستطيع البشر أن يجاريه ، وقد ذكرت كتب السير والتاريخ مدى تأثير البراعة القرآنية والروعة الخطابية واستحواذها قلوب العرب، ومن جانب آخر إذا ما علمنا ما لاقاه الرسول الأعظم من تشكيك ومعارضة وعداء إلى يومنا هذا، دعا علماء الأمة في البحث عن مظاهر الإعجاز ووجوه التفرد ليكون حجة علمية دامغة لهؤلاء المرتابون.

فقد أثارت قضية الإعجاز القرآني مباحث كثيرة في الحياة الفكرية والدينية للمسلمين وانتهت إلى نتائج على جانب عظيم من الأهمية .

فالإعجاز الإلهي على نوعين ، وقتية و مرتبطة بالجانب الحسي ، فمعاجز جميع الأنبياء وقتية وحسية تجابه بالحواس وتدرك به ، ولاسيما حاسة البصر لأنها تكون للناس على مرأى واحدا والناس لا يختلفون في مدلول المرئيات كثيرا، كما يدل عليه الاستقراء وهي محكومة بالزمن فانقضت بانقضائهم . والأخرى ، دائمة مرتبطة بالجانب العقلي تواجه العقل وتلقاه بكل ما فيه من قوى لتتحداه،وهي القرآن الكريم فأنها باقية ما بقي الدهر[٢٢]

وكان للرسول الأعظم (ص) كلتا المعجزتين ، الوقتية المتمثلة ب(انشقاق القمر، وتسبيح الحصى ، وسعي الأشجار، وغيرها.....) وهو بهذا شارك باقي الأنبياء في معاجزهم الموقوتة فهناك من أخطأ وظن ظن

الريب أن معجزة الرسول (ص)القرآن الكريم فقط . والثانية الدائمة وهي القرآن الكريم وهي عين رسالته وأظهرها .

ومن ضرورات البحث أن نقف عند معارضي أو منكري الإعجاز القرآني منذ الدعوة الإسلامية على يد الرسول(ص) من قبل المشركين و المنافقين وأهل الكتاب الذين حاولوا كل جهدهم أن ينالوا من القرآن ويقللوا أثره فتهموا الرسول(ص)بالكهانة والسحر والجنون والشعر وسعيا لتقويض الدعوة واخماد وهجها واطفاء نورها ويأبى الله عزوجل إلا أن يتم نوره بما ساقه الرسول (ص) من تحديات ومعاجز على مستوى الحس والعقل.

ومع ذلك ظهرت اتجاهات وتيارات معارضة ومنكرة للإعجاز القرآني،وان كانت ظواهر جزئية منعزلة ، نستطيع أن نحدد أهمها بالاتي:

١-نظرية الصرفة، تتلخص هذه النظرية بان الله عز وجل صرف العرب عن معارضة القرآن الكريم مع قدرتهم عليها ،فكان هذا الصرف خارقا للعادة أو معجز لهم ،والقائلين بذلك أبي إسحاق النظام من شيوخ المعتزلة ،وأشار إلى ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان، فضلا عن الجعدية والمزدرية وغيرهم، وقد عارض العلماء هذه النظرية وردوها.

٢-القول أن القرآن الكريم غير معجز لأن الناس قادرون على الإتيان بمثله ،وهي مقولة مردودة لأنها لا تستند على دليل عقلي يعززها .

**الأطوار البحثية في الإعجاز القرآني:**

من خلال بحوث العلماء ودراساتهم يمكن أن نحدد علم الإعجاز القرآني ،إذا صح التعبير ب:

**الطور الأول:** استقصاء وكشف المعجز القرآني من قبل العلماء القدماء ، وينحصر جل اهتمامهم بالجانب اللغوي والبلاغي للنص الكريم ،فجاءت بحوثهم للنص الكريم جزئية تسلط الضوء على القواعد البلاغية والأساليب اللغوية معزل عن الكتلة السياقية الكبرى للنص الكريم ،حتى غدا الدرس القرآني(اللغوي أو البلاغي) مثقل بالتبويب والتقسيم بعيد عن فنية النص وجماله الذي ابهر سامعيه وأدهشهم، ومن ابرز علماء هذا الطور الباقلاني والآمدي والجرجاني وقدامة بن جعفر والرماني وغيرهم.

**الطور الثاني:** هو جمع الآراء والنظريات الاعجازية ، من ابرز علماء هذا الطور هو الرازي ٦٠٦هـ فقد جاء كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) ملخص عما ذهب إليه الجرجاني ،وقد جمع ابن أبي الاصبيع في كتابه (بديع القرآن) ما جاء في كتب المجاز التي سبقته ، ونحى الزركشي هذا المنحى أيضا في كتابه (البرهان في علوم القرآن).

الطور الثالث:النظريات العصرية للإعجاز القرآني،متمثلة بأبحاث العلماء المعاصرين ،فكان للنهضة العربية دور بارز في توجيه العقل العربي لاستنباط الإعجاز القرآني وكشف مكامن تفرده وخبايا تحديه،فجاء النظر موجه إلى جمالية النص الكريم وروعته الفنية .

من ابرز أعلام هذا الطور مصطفى صادق الرفاعي في كتابه (إعجاز القرآن) صب اهتمامه في البحث في جمال النظم الموسيقي وتآلف أصوات الحروف مع بعضها وكان يرى ان روح التركيب وراء ذلك السر في القوة والإبداع.

أما السيد قطب فلم يحصر عنايته في الجانب الموسيقي للمفردات والتراكيب بل ذهب إلى جانب التصوير الفني واثره على المتلقي فتناول التخييل الحسي والتجسيم وقضية التناسق الفني إضافة إلى مسالة القصة والمشهد في كتابيه (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن).

ومن بين الباحثين والعلماء المعاصرين الدكتور محمود البستاني كان له بحوثه الخاصة في قضية الإعجاز على مستوى المفهوم والوجوه الاعجازية ومظاهرها في مؤلفاته.

**مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم :**

أثارت قضية الإعجاز القرآني همم العلماء فراحوا يبحثون عن مظاهره ووجوهه ، فبذلوا جهودا مضنية ،فمفهوم الإعجاز من نظر العلماء هي قضية مشكلة ومبهمة كثرت أقوالهم وتشعبت آرائهم وبالإمكان حصرها بالاتي : من حصر الإعجاز القرآني في وجه واحد، ومنهم من حصرها في عدة وجوه ومظاهر، وأخيرا من يرى انه ينحصر في العجز عن كشف الإعجاز ووصفه.

لكن الملاحظ أن العلماء قد تعددت لديهم مظاهر الإعجاز على المدى، ونجملها في الآتي :

الإعجاز البلاغي: جل ما اهتموا به علماء العربية في النص الكريم هو بحث الأساليب المجازية والبلاغية فيه ،إن أول من تكلم في البيان القرآني هو أبو عبيدة ١٨٨هـ في كتابه مجاز القرآن ،ثم تصدى بعده علماء العربية في البحث والاستنباط ،فللجاحظ كتاب (نظم القرآن) لم يصل إلينا ولكن أشار إليه في كتابه الحيوان ،فيقول:"ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات...".

ثم توسعت الدراسات في هذا الشأن وتباينت آراء العلماء، وخلاصة دراساتهم إن الإعجاز القرآني بلاغي يتمثل بالتركيب الخاص والمتميز بين ألفاظ القرآن ومعانيه ، فضلا عن العلاقات الناشئة من المجازات والاستعارات والكنايات والرموز والإيحاءات بين المعاني والألفاظ وهو الوجه الأظهر للإعجاز القرآني ، واهم ما قيل في الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم هو نظرية النظم على يد الجرجاني .

والمحصلة هو جهد علماء الإعجاز أمثال الواسطي والرماني ٣٨٦هـ،والخطابي٣٨٨هـ والشريف الرضي٤٠٦هـ ،والجرجاني ٤٧١هـ،حتى وصل إلى مرحلة الدراسة البلاغية التطبيقية على يد الزمخشري ٥٣٨هـ في تفسيره البلاغي الكشاف.

الإعجاز الغيبي :تنبه العلماء إلى الأنباء التي اخبر بها القرآن الكريم عن زماني الماضي والمستقبل من الأحداث، ويتمثل الجانب الاعجازي بهما على مستويين:

١-الزمن الماضي: ويتمثل بالقصص القرآني ، حيث عرض سيرة الأمم السالفة بأحداثها الجزئية وأنبائها الكلية بأسلوب الواثق ، معرضا للتفاصيل ومصورا للمشاهد المفعمة بالحياة والحركة ، منذ بدا الخليقة بقصة آدم (ع) حتى بعثة النبي (ص) وما بينهما من قصص القرون الغابرة والشرائع الداثرة ،كقصة نوح ،وموسى،وداود وسليمان، وإبراهيم ،وغيرها من القصص.

٢-الزمن المستقبل:تحدث القرآن الكريم بلغة الجزم واليقين عن الأحداث المستقبلية التي أنبأ عن وقوعها ،منها غلبة الروم، ووقعة بدر ،وفتح مكة وغيرها،وقد وقعت جميعها دون خلاف ،فان الأخبار المستقبلية عن الأحداث والوقائع لها من الأهمية ما تحمل المتأمل في النص الكريم على التصديق به والإيمان بجهة صدوره والوقوف عاجزا أمامه. فالإعجاز الغيبي من جلائل مظاهر الإعجاز ودلائل كونه من وحي الله عز وجل.

الإعجاز الصوتي:انشغل علماء العربية بالجانب الصوتي والموسيقي الذي تمثل في جزء منه في الحروف المقطعة بفواتح بعض السور القرآنية ، وتنبهوا لمواقع الحروف بعضها من بعض وأتلاف أصواتها وتساوق موسيقاها وتوقيعاتها ،فوقفوا عاجزين أمام الاستعمال الفريد الذي لا عهد بهم من قبل.

الإعجاز التشريعي: ارجع العلماء الإعجاز إلى الجانب التشريعي في فقه القرآن وأحكامه التي لا عهد للحضارة البشرية بها وبتفاصيلها المتقنة، في تعظيم حياة الفرد والمجتمع بإحكام ودقة ،و_بإيجاز_ يتمثل بآيات المعاملات والعبادات وما يترشح منها من أبعاد اجتماعية وأخلاقية ونفسية .وكل ذلك لا يمكن ان يصدر إلا من خالق هذا الكون ومنظم شؤونه.

الإعجاز العلمي والمعرفي: إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو علم حديث جديد بدأ يظهر وينتشر بفضل القوانين و النظريات التي توصل إليها العلم الحديث في مجال علم الفلك والطب والصحة وعلوم الحيوان والنبات والجغرافية ونظام الزوجية في الكائنات وغيرها ، وقد توافقت هذه الأبحاث الحديثة مع معرض الآيات القرآني في الاستدلال والاحتجاج وبيان دلائل قدرة الله عز وجل فجاءت الإشارات علمية دون أن يستعمل القرآن قوانين الحس والتجربة والتي أكتشف أسرارها في العصر الحديث ، وهنا مكمن التفرد فالقرآن كتاب أشتمل على علوم ومعارف في التشريع وهداية الناس الى الحق وكشف حقيقة أسرار العالم فمن المستحيل على الرسول (ص) أن يأتي به من عنده وهو أمي في بيئة جاهلة حتى لو

اجتمع أهل الجزيرة لما استطاعوا من تلقاء أنفسهم ، وقد ألفت كثير من هذه الكتب التي تستقصي الإعجاز العلمي.

الإعجاز العددي:وقف العلماء والباحثون بالشأن القرآني عند الإعجاز العددي في القرآن الكريم ، حيث أنبات أبحاثهم إن ما توصلوا إليه من عمليات إحصائية للألفاظ المتناظرة والمتقابلة والمتضادة والمتناقضة ليست من قبيل الصدفة ، بل كانت موضوعة بإتقان مقصود وبميزان معلوم ،لا يمكن أن تكون من صنع البشر .(٢٣)

## المبحث الثالث: الإعجاز القرآني عند الدكتور محمود البستاني.

إن فكرة الإعجاز عند د.البستاني ترشحت من جملة محاور حددها بثلاثة علوم وهي : محور العلوم الطبيعية ، ومحور العلوم البحتة ، ويبدو أن هذين المحورين قد بحثا ضمن الإعجاز العلمي، إلا إن الدكتور البستاني يرى أن الخوض في هذه المحاور تتطلب معرفة تخصصية فيها تتيح الاضطلاع بالمهمة البحثية ، أما محور الثالث هو محور العلوم الإنسانية ، وهذا المحور هو محل دراسة الدكتور البستاني ، والعلوم الإنسانية كما نعلم تضم علم الاجتماع والنفس و الأخلاق والفلسفة وكل ما له علاقة بهذا المجال المعرفي ، وللدكتور البستاني بحوث ودراسات ألفها في هذا المجال ، إلا انه قد قصر اهتمامه على الجانب الأدبي والبلاغي من المحور الثالث في قضية الإعجاز القرآني معللا ذلك في الرجوع إلى كلام المعصومين (ع) وقد أشرت في بداية البحث إلى رواية عن الإمام الرضا(ع).

إذ يرى الدكتور البستاني أن سر الإعجاز يوضح حينما نضع في الاعتبار أن القرآن الكريم يتميز إعجازه بالنسبة إلى البيئة الاجتماعية التي نزل القرآن الكريم فيها ،والبيئة الاجتماعية عصرئذ متمثلة في البعد المعرفي الخاص بالأدب والبلاغة ،فكانت البيئة تعنى بشكل كبير بالشعر وفنونه والنثر وفنونه أيضا. وهذا ما أشار إليه المعصوم (ع) في أن رسالة موسى (ع) وعيسى(ع) كانت في بيئة مناسبة لمعاجزهم.(٢٤)

ولذلك نزل القرآن الكريم على وفق أسلوب أدبي متفرد جعل البيئة المشار إليها تستجيب استجابة المندهش المبهور إلى الأسلوب البلاغي أو الأدبي أو الفني .

يؤسس د.البستاني لقضية الإعجاز القرآني مبادئ يبني عليها فكرته في الإعجاز والتي تقوم على النظر إلى أن الإعجاز الفني للقرآن الكريم يتميز بطابعين مهمين هما :

١-الطابع المحلي أو الخاص والمقصود هو التوافق بين الذوق الأدبي في البيئة التي جاء القرآن من خلالها.

٢-هو الطابع العام أو الإعجاز العام ، يتناول ذوق الأجيال الأدبية جميعا ، أي بمعنى أوضح أن هناك خصائص فنية أو بلاغية أو أدبية تعبر حدود الزمن الذي انبثقت منه لتتسع وتشمل كل الأجيال من حيث

الخصائص الفنية المشتركة بين هذا الجيل أو ذاك. أو من حيث الخصائص الفنية التي يستطيع كل جيل أن يكتشف من خلالها بعدا واقعيا يتصل بالنص الأدبي والبلاغي.[٢٥]

بمعنى أن العلماء القدماء عندما تحدثوا عن الإعجاز تناولوه على وفق محاور البلاغة المعروفة ب(المعاني ،والبيان ،والبديع)أي من حيث التركيب وتأليف المفردات ومن حيث الصورة الفنية وأخيرا المحسنات اللفظية والمعنوية وهذا الجانب هو المحلي أو الخاص. وهذا ما بينه المبحث الثاني إن أظهر وجوه الإعجاز القرآني عند القدماء متمثل في جانبه البلاغي.

فالإعجاز عند الدكتور محمود البستاني كما صرح ، هو تناول الظاهرة الاعجازية من خلال الطابع العام ، أي ما تفرزه المرحلة المعاصرة من خصائص فنية ومبادئ بلاغية متنوعة أي من خلال المبادئ الجديدة التي بلغت مرحلة من التطور خلال القرون المتمادية.

وعلى هذا الأساس قسم د.البستاني الطابع العام إلى جملة من العناصر ،وهو قسم ثماني وليس ثلاثيا كما فعل القدماء:

الأول:العنصر الفكري

الثاني:العنصر الموضوعي.

الثالث:العنصر الدلالي

الرابع:العنصر الصوري

وهذه العناصر الأربعة تمثل البعد الداخلي للنص

الخامس:العنصر اللفظي.

السادس:العنصر الإيقاعي.

السابع:العنصر الشكلي.

الثامن:العنصر البنائي.

هذه العناصر الأربعة تمثل البعد الخارجي للنص كما يشير[٢٦]

فالإعجاز الفني لديه هو الذي ينفرد به القرآن من حيث توفره على صياغة خاصة لم يتح للآخرين أن يتوافروا عليها ولم يخطر في بال المجتمع الثقافي آنذاك، من جانب آخر أن الإعجاز يتمثل في مطلق المبادئ الأدبية أو البلاغية أوالفنية التي توفر القرآن عليها حيث يألفها المتلقون في ذلك الزمن وفي زماننا الحاضر أيضا.

**مظاهر الإعجاز عند الدكتور محمود البستاني:**

أولا: إن من مظاهر الإعجاز القرآني لديه هو الإعجاز القصصي ،وهو المادة القصصية الموجودة في القرآن الكريم ، فالعرب لم يألفوا فن القصص حينئذ إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بعد تأثرهم بالثقافة الأوربية.

فن القصة لم يكن حاضرا في كتب علماء العرب الذي أقتصر اهتمامهم في المعاني والبيان والبديع وتفرعاتها وأقسامها.

الفن القصصي في القرآن الكريم – كما هو واضح للجميع – انه شغل مساحة كبيرة من مساحة النص القرآني فهناك عشرات القصص المتناثرة في كثير السور القرآنية ، ففي سورة البقرة مجموعة من القصص ،قصة آدم(ع)وقصة الطيور الأربعة وقصة طالوت ،وإبراهيم(ع) ،وقصة المار على القرية ،حتى أن بعض السور استقلت كسورة يوسف(ع) وغيرها. وعلى الرغم من كثرة السور القصصية إلا أن البلاغيين القدامى لم يقفوا على دراسة البلاغة القصصية بقدر دراستهم البلاغية التقليدية المجتزئة للآيات. من هنا يخلص د.البستاني أن قضية الإعجاز القرآني تتمثل في محور العنصر القصصي للقرآن ، فما دامت القصة القرآنية غير مألوفة عصرئذ ، والمألوف لديهم ينحصر في الشعر والأراجيز والمثل وما شابه ذلك ، كانت القصة القرآنية معجزة من حيث الشكل والصياغة أيضا.[٢٧]

فقد ألف كتابا بعنوان دراسات فنية في قصص القرآن، تناول فيه بنية القصص الموجودة في القرآن الكريم بدا من سورة البقرة التي تضمنت عدة قصص وأقاصيص وانتهاء بآخر قصة وهي أصحاب الفيل على وفق النسق القرآني.

وقد أخضع هذه الدراسة إلى المبادئ الفنية المعاصرة ،أي في ضوء مبادئ القصة الفنية الحديثة ،وقد توصل إلى أن هذا النمط من الصياغة القصصية قد رسم وفقا للمبادئ التي اكتشفت أخيرا في أوربا ، ويرى أن هذا الشكل بصياغته هو دون أدنى شك من وجوه الإعجاز القرآني لتوفره على صياغة القصة وفق المبادئ الفنية الحديثة ،وأن كانت تقنيات القصص القرآني قد لا تتوافق مع كثير من مبادئ القصة ،لكن هذا لا يعني إخضاع القصة القرآنية للقصة الأرضية وهذا يأخذنا إلى أن القصص القرآني له مبادئ فنية جديدة بالإمكان أن نوصي بها الأدباء والبلاغين أن يخضعوا أعمالهم إليه.

**العناصر الفنية في القصص القرآني:**

كشف د.البستاني عناصر القصص القرآني من خلال دراسته لها ،والفارق بينها وبين القصص الأرضي ، فعناصر الجمال في القصص القرآني موظفة في خدمة المقصد القرآني ،أما العناصر الفنية والجمالية في القصص الأرضية لها غاية هي إشباع الحس الجمالي للمتلقي.

حدد د.محمود البستاني جملة من العناصر الفنية في القصص القرآني نقف عندها بإيجاز،

أولا : الحوار والسرد ( فالسرد هو عرض الظاهرة أما الحوار هو وضع مكالمات بين طرفين أو أكثر) فللحوار مسوغاته في القصص القرآني ووظائفه وأنواعه ، و للسرد أيضا دلالاته ، ويخلص إلى إن التنوع بين السرد وأقسامه والحوار وأنواعه يكون حسب مقتضيات الضرورة القرآنية.

ثانيا :عمارة القصص القرآني ، ويرى د.البستاني في بنائية القصة القرآنية وجه إعجازي من حيث بدايتها ووسطها ونهايتها وترابطها العضوي.

ثالثا : عنصر البطل فقد رصد وحدته وتعدده ، وتنوع الأبطال والشخصيات من رئيسة وثانوية ومتحركة وثابتة.

والعنصر الأخير: هو العنصر الصوري ويقوم على صور التشبيه والاستعارة والرمزية والتورية.فقد حدد مكامن وجه الإعجاز من خلال هذه العناصر مثبتا ذلك بتحليل القصص القرآني وبحث تفاصيلها.

ثم يخرج بنتيجة مرادفة للإعجاز وهي إن القصة القرآنية واحدة من العناصر التي يوظفها النص الكريم لإنارة موضوعات السورة القرآنية وما تتضمنه من مقاصد تستهدف ذهن المتلقي.[٢٨]

ثانيا: من مظاهر الإعجاز عند د.البستاني هو الإعجاز البنائي : و يسميها وحدة السورة القرآنية ، وحديثه يتحدد في مجال انتظام الآيات القرآنية الكريمة في سور محددة إذ إن الآيات القرآنية كانت توقيفية أي بأمر من الرسول (ص) ،فهو يرى إن انتظام الآيات عبر سورة موحدة بهذا الشكل يجسد ظاهرة اعجازية تثير الانتباه ، فهناك سر يكمن وراء هذا الانتظام في سور مستقلة ، فقراءة السورة بأكملها بهذه الكيفية من ترابط الآيات بعضها مع الآخر سوف يفضي بنا إلى أن نتلقى معرفة خاصة تفترق دون أدنى شك عن معرفتنا بجزئيات هذه السورة .

"فالسور القرآنية إنما تبنى وتصاغ بنحو إعجازي مدهش بحيث تجيء كل آية مرتبطة بما قبلها وما بعدها .....فالعناصر التي تتآزر بدورها كما تتآزر أجزاء الجسم الإنساني فيما بينها لتؤدي وظيفة خاصة"[٢٩]

ويلاحق الإعجاز البنائي للنص الكريم من خلال عدة زوايا ، منها الانعكاسات اللاواعية لدى القارئ وعنصر التجانس في البناء العضوي ، والنمو العضوي في بناء النص ، والتداعي العضوي ، وهو في كل ذلك يسوق الأمثلة القرآنية توضيحا وتدعيما .[٣٠]

**الخاتمة:**

وبعد تتبع الإعجاز القرآني عند العلماء القدماء في المبحث الأول والثاني من خلال المفهوم والمظاهر ،نستطيع أن نلحظ في نهاية هذا البحث إن الدكتور البستاني خطى خطوات كبيرة عن سابقيه ومعاصريه في الرؤية لإعجاز القرآن الكريم.

خلاصة ذلك يرى أن القرآن الكريم يخاطب كل جيل بلغته ،حينئذ يكون من الضروري أن يتضمن مبادئ تتوافق والمبادئ التي يكتشفها هذا الجيل أو ذاك سواء كان الجيل القديم الذي أكتشف الإعجاز القرآني في ضوء البلاغة التقليدية أم كان الجيل الحديث الذي ينظر من منظار البلاغة الحديثة. فالإعجاز القرآني البلاغي يظل مفتوحا ولا يتحدد على وفق المبادئ التي يكتشفها حديثا بقدر ما يعني أن ثمة مبادئ أخرى لعلها تكتشف في ضوء ما يتوقع اكتشافه في العصور المقبلة.

**الهوامش:**

١-لسان العرب،مادة(عجز)٩-١٠/٤٢.

٢-معجم مقاييس اللغة:٤/٢٣٢-٢٣٤.

٣-المفردات:٣٢٢.

٤-ينظر:البيان في إعجاز القرآن،ود.صلاح عبد الفتاح الخالدي:٢٠-٢١.

٥-مقدمة ابن خلدون:١٠.

٦-الإتقان في علوم القرآن:٢/١١٦.

٧-التعريفات:١٤

٨-إعجاز القرآن:١٣٩

٩-نظرات معاصرة في القرآن الكريم:١٠

١٠-المغني في أبواب التوحيد والعدل:١٦/٢٢٦

١١-ينظر:كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد:٢١٨

١٢-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم:١٢٠

١٣-آلاء الرحمن في تفسير القرآن :١/٣

١٤-الجامع لأحكام القرآن:١/٦٩-٧٢

١٥-البيان في تفسير القرآن:١/ ٤٣

١٦-الميزان في تفسير القرآن:١/٧٥

١٧-الإلهيات:٣/٧٠

١٨-ينظر:الإعجاز بين النظرية والتطبيق:٢٠

١٩-صحيح مسلم،كتاب المسافرين.(٤٥)باب فضل قراءة(قل هو الله أحد)حديث:١/٨

٢٠-مسند أحمد:١/١٧٤

٢١-الأصول من الكافي:١/٢٤

٢٢-ينظر:الإعجاز في دراسات السابقين:١١

٢٣-ينظر:نظرات معاصرة في القرآن الكريم:١٤-١٦، وينظر:البيان في إعجاز القرآن:١٤٠، وينظر:موجز علوم القرآن :٥٨-٦٩

٢٤-ينظر:دراسات في علوم القرآن الكريم:

٢٥-ينظر: المصدر نفسه:١٨٦

٢٦-ينظر:المصدر نفسه:١٨٧

٢٧-ينظر:المصدر نفسه:٢٨٤

٢٨-ينظر:المصدر نفسه:٤٥٢

٢٩-ينظر المصدر نفسه:٤٥٢

٣٠-ينظر المصدر نفسه:٤٥٤

**المصادر:**

١-الإتقان في علوم القرآن/السيوطي-مطبعة حجازي- القاهرة.١٩٤١م

٢- الإعجاز بين النظرية والتطبيق/محاضرات السيد كمال الحيدري-بقلم محمود الجياش.مؤسسة التاريخ العربي.

٣-الإعجاز في دراسات السابقين/عبد الكريم الخطيب-دار المعرفة ،بيروت

٤-إعجاز القرآن/مصطفى صادق الرافعي-دار الكتاب العربي.

٥- آلاء الرحمن في تفسير القرآن/محمد جواد البلاغي -دار إحياء التراث العربي،بيروت.

٦-الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل /الشيخ جعفر السبحاني.مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام،قم.

٧-البيان في إعجاز القرآن/ د.صلاح عبد الفتاح الخالدي-دار عمار

٨-البيان في تفسير القرآن/ السيد أبو القاسم الخوئي(١٤١٣هـ)-النجف،١٩٦٦م.

٩-التعريفات/علي بن محمد الجرجاني(٨١٦هـ)-القاهرة١٩٣٨م

١٠-الجامع لأحكام القرآن/ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)مؤسسة الاعلمي للمطبوعات-بيروت.

١١-دراسات في علوم القرآن/الدكتور محمود البستاني-مدينة العلم ،قم٢٠٠٧م.

١٢-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم/أبو الفضل محمود الالوسي( ت١٢٧٠هـ)دار إحياء التراث العربي -بيروت.

١٣-كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد/العلامة الحسن بن يوسف الحلي -طبعة صيدا.

١٤-لسان العرب/محمد بن مكرم ابن منظور(٧١١هـ)دار صادر -بيروت.

١٥-معجم مقاييس اللغة/أحمد بن زكريا ابن فارس(ت٣٩٥هـ)،ت:عبد السلام هارون،طهران

١٦-المغني في أبواب التوحيد والعدل/القاضي عبد الجبار المعتزلي

١٧-مقدمة ابن خلدون/عبد الرحمن بن خلدون-دار صادر،بيروت.

١٨-المفردات في غريب القرآن/الراغب أبو القاسم الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)،دار القلم بيروت.

١٩-الكافي/ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني(٣٢٩هـ)دار الكتاب الإسلامية-إيران.

٢٠-موجز علوم القرآن/ د .داود العطار

٢١-الميزان في تفسير القرآن/السيد محمد حسين الطباطبائي-مؤسسة الاعلمي لبنان ط٢-٢٠٠٢م.

٢٢-نظرات معاصرة في القرآن الكريم/د.محمد حسين الصغير-دار المؤرخ العربي -بيروت.

خلاصة البحث:

هذا البحث الموسوم ب(الإعجاز القرآني عند الدكتور محمود البستاني) يخص جانب معرفي لأحد أعلام الفكر والأدب العربي المعاصر ،ترك ثروة معرفية لا يستهان بها في مجال الشعر والنقد والفكر ،فقد مثل بكتاباته العقل المسلم المعاصر

المنفتح أمام الظلام والانحراف الفكري ففتح أبواب كانت موصدة وأنار مسالك كانت مظلمة ،والكتابة عن الدكتور محمود البستاني تتطلب جهدا وتتبعا لتنوع نتاجه المعرفي ومن بين ذلك قضية تستحق الوقوف عندها ودراستها.

ويخلص البحث إلى أن الدكتور محمود البستاني يرى أن القرآن الكريم يخاطب كل جيل فيكون من الضروري أن يتضمن مبادئ تتوافق والمبادئ التي يكتشفها هذا الجيل أو ذلك سواء كان الجيل القديم الذي أكتشف الإعجاز القرآني في ضوء البلاغة التقليدية أم كان الجيل الحديث الذي ينظر من منظار البلاغة الحديثة.

فالإعجاز القرآني البلاغي لديه يظل مفتوحا ولا يتحدد على وفق المبادئ التي يكتشفها حديثا بقدر ما يعني ان المتلقي.[٢٨]

**The Quran Miracles by Dr. Mahmood Al-Bustani**

**Abstract:**

This research is related to the cognitive aspect of Dr. Al-Bustani, one of the marked scholars in thought and Arabic modern literature. He left a significant cognitive wealth in poetry, criticism and thought. He represented, in his writings, the contemporary Muslim mind open to darkness and intellectual deviation. He opened locked doors and laminated the paths which were dark. Writing about this scholar demanded great efforts and tracing his cognitive product. Of those works is his work concerning Quran miracles. He had a creative vision and a significant mark in this subject that deserves tackling and researching.

The research reached that Dr. Al-Bustani views the Quran as talking to every generation, therefore it includes principles that conform with the principles believed by this generation who view the Quran miracles in the light of modern rhetoric or even the early generations who discovered the Quran miracles in the light of traditional rhetoric .

The rhetoric Quran miracles for him remains open and is not limited by the principles discovered recently as much as the other ones that could be discovered in the forthcoming times.

تاريخ أستلام البحث :- ٢٠١٥/٥/٢٠

تاريخ قبول النشر :- ٢٠١٥/٦/١٦